المجلة السياسية والدولية

اسم المقال: الواقع السياسي العراقي بعد عام (2003م) وتحديات بناء الدولة
اسم الكاتب: م. حسن حسين كاظم
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/2121
تاريخ الاسترداد: 2026/06/05 12:13 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من الصفحة الخاصة بالمجلة السياسية والدولية على موقع المجلات الأكاديمية العلمية العراقية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

الواقع السياسي العراقي بعد عام(٢٠٠٣م)
وتحديات بناء الدولة

The political reality after Iraqi 2003 A.D. and the challenges of nation-building.

المدرس
حسن حسين كاظم (*)

المقدمة:- (Introduction)

العلل التي يعانى منها مجتمع العراق كثيرة أبرزها الواقع المتردي للفرد العراقي في ظل المتغيرات الخارجية التي فرضت عليه سابقا أدت لمتناقضات اقتصادية،ثقافية أثرت على بنيويته المجتمعية،وما يفرزه الواقع الحالي من تناقضات فكرية، سياسية أظهرت معالمها حالات الصراع،وعدم الاستقرار الأمني الذي ترتيب علية انغلاق اجتماعي عنيف أحيانا زيادة على الإرهاصات في هيكلية الدولة .إن البحث يعبر عن حالة التصدع الحاصلة لمجتمع العراق وما ألت إليه أوضاع النظم السياسية التحزبية غير المسئولة التي آذت الفرد، والمجتمع مما اضعف أداء الدولة التي دبت فيها ظاهرة الفساد الإداري حيث أصبحت متفشية في مختلف الأطر الثقافية، العمرانية بالتالي قتلت روح الطموح التي كانت، وما زالت في مخيلة المجتمع لتأسيس دولته المدنية القادرة على التطور، والحداثة .

هدف البحث

إلى فتح مجال إمام المؤمنين بوحدة العراق، وحقه في بناء دولة آمنة مستقرة تعبر عن إرادة شعبه تعمل على وضع الحلول اللازمة لتخطي محن النهوض لهذا الجزء المهم من الأمة العربية كي تحقق طموح أبنائه بمصداقية بعيدا عن المزايدات،والمهاترات السياسية اللاواعية الغير مؤمنة بقدرات العراق، وأصالة أهله.

(*) التربية/ جامعة بغداد-ابن رشد.

مشكلة البحث:-

تكمن في سعة مواضيعه المتشعبة حيث لا يستطع بحث واحد من تغطيتها ،بل أكثر من ذلك تتلخص المشكلة في جدلية العلاقة بين طبيعة النظام السياسي السائد في العراق من ناحية والاستقرار المجتمعي ،والسياسي من جهة أخرى من حيث ماهية العلائق المختلفة الأنواع مقارنة بين الأنظمة الوطنية التي حكمت العراق الملكية، والجمهورية، ومدى أفضلية احدهما على الأخر في تسيير شؤون البلاد عبر المراحل التي مرت. هل هناك نظام سياسي يمكن أن يكون البديل الأفضل لتحقيق أعلى المكاسب ،ويكون متناغما مع طبيعة التركيبة السكانية لمجتمع العراق قد حاولنا تغطية محاورها حسب قدراتنا المتواضعة.

فرضية البحث:-

شكلت معادلة حسابية متساوية الإطراف. أولاها علاقة ايجابية بين النظام السياسي من جانب، والطرف الثاني للمعادلة هي ايجابية التفاعل، والاستقرار السياسي من طرف أخر. أي كلما كان نظام الحكم مدركا للطبيعة الاجتماعية كلما كان قادراً على تحقيق الاستقرار وبناء الدولة.

منهجية البحث:_

اعتمدت المنهج الاستقرائي للاستدلال على الإحداث السياسية عبر فترات مختلفة من تاريخ العراق ثم وظف المنهج المقارن للمفاضلة بين الظواهر السياسية بما فيها (النظم السياسية) ضمن فترات زمنية محددة من تاريخ العراق الحديث ،والمعاصر بعد ذلك تم تحليل تلكم الظواهر قدر المستطاع ،وقبل الإجابة على الفروض التي طرحها البحث لابد من التعرج على بعض المفاهيم الأساسية والمصطلحات كمفهوم أو مصطلح النظام السياسي حيث يرى الدكتور صادق الأسود أستاذ علم الاجتماع السياسي إن النظم السياسية أصبحت شمولية الأنشطة لم يقتصر مجال عملها بمحتوى السلطة الضيقة التقليدية التي تنصب الدراسة فيها على شرعنه نظام الحكم السياسي ضمن مفهوم القانون الدستوري تقليداً بل أصبح يتدخل في شتى المجالات الاقتصادية ،الاجتماعية ،الفكرية متراجعا عن المفهوم التقليدي للنظام السياسي الذي كان مهتما بشكل السلطة فقط بل تعداه نتيجة للاتساع في تطور مفهوم النظم السياسية،وتعدد مجالاتها .إما اصطلاح الدولة بمعناها الواسع الشمولي هي تجمع بشري ترابطي مصلحي مشتركة ضمن رقعة جغرافية معينة لها نظام اجتماعي سياسي،وقانوني ينظم العلائق بين إفراد هذا التجمع وفق نظام سياسي مفروض الطاعة لأجل المحافظة على كيان الوحدة الجمعية. يصح القول إنها كيان سياسي، قانوني منظم يشمل مجموعة من الأفراد يقيمون على ارض محددة، و يخضعون لتنظيم سياسي ، قانوني ،و اجتماعي تفرضه السلطة.

أولاً: فرضية البحث:-

هي الإجابة عن متغيرين طرحها موضوع البحث بصيغ التساؤل الذي لا بد من مناقشته والوقوف على المعوقات التي حالت دون تحقيق دولة العراق.كان التساؤل كلاتي:-

هل أن المجتمع العراقي يطمح لبناء دولة عصرية قادرة على توفير الاستقرار السياسي، وتحقيق الرفاهية الاقتصادية، والاجتماعية؟ وما هي المتغيرات المعتمدة لتحقيق هذا الطموح؟

الإجابة شكلت محاور ثلاثة هم:-

١- اثر النظم السياسية العراقية من عام-١٩٢١-٢٠٠٣-م.في بناء المجتمع، والدولة. ضمن هذا المحور تطرقنا إلى النظم السياسية التي حكمت وتحكمت في مصير مجتمع العراق وتأثير ذلك في بناء الدولة بالضد أم بالإيجاب.

٢- الاحتلال الأمريكي للعراق عام٢٠٠٣م وأمركة مجتمعه . بينا في هذا المحور ما ألت إليه الدولة والمجتمع من حالات التردي ،وفقدان الإرادة -السيادة- التي هي أهم مقوم لبناء الدولة.

٣- الأسس العلمية، والعملية لتأسيس مشروع بناء الدولة.هذا المحور هو رؤى مستقبلية لما يجب إن تكون علية المجتمع ،والدولة حسب وجهت نظرنا المتواضع.

الخاتمة:- هي خلاصة ما توصلنا إليها من نتائج ،وأراء قد تكون منطلقا لدراسات أكثر شمولية ومتخصصة في مجالات مختلفة تتعلق بأوضاع العراق ثم التعرف على مشاكله للبدء في وضع العلاج اللازم.

وبالله من الله العون والسداد-

المحور الأول:- اثر النظم السياسية العراقية من عام١٩٢١-٢٠٠٣م.في بناء المجتمع والدولة.

Axisl:- after the political systems of Iraq in 1921-2003 AD.In building the societyand the State

الاستماعقراءة صوتية للكلمات

إن النظم السياسية للدولة طبقا للدراسات التاريخية غالبا ما يعتمد وجودها،أو تكوينها على القوة العسكرية ،والدين. القوة أهم وسيلة للوحدة السياسية المجتمعية الممهدة لظهور النظام السياسي للدولة.إما عامل الدين هو المحرك الغيبي لتوحيد المجتمعات البشرية ضمن معتقدات دينية وعقائية ترغيبيه ،ترهيبية ذات طقوس تتصف بقدسيتها الملزمة للجميع. استغل هذا العامل كي يوظف كأساس للنظام السياسي١. ثم اعتمد التكوين عاملا أخرى في العصور اللاحقة هو الطابع القومي الذي

١- عبد الرضا الطعان. الفكر السياسي الحديث . بغداد- دار الحكمة – العدد- ١٢ -لسنة-١٩٨٧-ص٨٥

اضعف العاملين الديني، والعسكري خصوصا بعد عصر النهضة١. يفترض بان تكون الدوافع الرئيسة لنشوء الدول (نظامها السياسي) عبر التاريخ هو تحقيق اكبر قدر ممكن من الرفاهية،والاستقرار المستدام لصالحها مع مجتمعاتها التي تحكمها بغض النظر عن كيفية نشأة هذه النظم رغم تباين المجتمعات عبر العصور،و ما تحققه هذه النظم من نجاح ،أو فشل وصولا للغايات. يعتمد تكوين النظام كليا على وجود المجتمع لأنه جزء من منظوماته المجتمعية الأخرى بل أهم منظومة فيه سوا كان المجتمع متطورا أم متخلفا فالنظام يعبر عن المجتمع تعبيرا حقيقيا سلبا أو إيجابا. يرى المفكر بريجيس دبوريه(*) إن الدولة قدر الشعوب الأقل من الشر ،والاسوء شرا هو غيابها،وإلا رجعت الشعوب إلى قانون الغاب أو ما يسمى العودة للطبيعة. النظام السياسي للدولة كالعقل البشرية إذ ما فسد العقل فقد الإنسان أهلية التصرف وسلبت أرادته. المحصلة إن الدولة (النظام السياسي)، وصيرورة عملها هو امتداد اجتماعي معبر عن واقع حال المجتمع إذا ما تخلفت عنه فهو المقوم لاعوجاجها ربما يؤدي لاستبدالها بالطرائق السلمية كالتظاهر ،والاعتصام ،أو استخدام العنف كالثورة الشعبية. من الصعب إن نجد مجتمع مدني في محيطنا الإقليمي ،والدولي له استقلالية عن إرادة النظام السياسي حيث انه يتأثر فيه ،ويؤثر به رغم القيود المتزايدة التي تفرضها النظم على أنشطة المجتمع المدني المؤدية لعوامل الخوف متفاوت الدرجات حسب عوامل الزمان ،المكان،التطور الثقافي للمجتمع٢. الحقبة التاريخية التي عاشها مجتمع العراق منذ سقوط الخلافة العباسية، وتدمير الحضارة العربية الإسلامية اثر سقوط بغداد مركز الخلافة على يد المغول التتار عام ١٢٥٨م ثم تلاه الاحتلال العثماني الذي عد من أسوء ألحقب في تاريخ العراق كان عصر من التخلف، والاضطهاد الاجتماعي لطمس المعالم الحضارية التي دلت عليها سياسة التتريك التي مارستها الدولة العثمانية على اغلب الدول العربية من منع استخدام اللغة العربية لأنها تشكل العنصر الرئيسي للحضارة العربية الإسلامية، والموروث الفكري لمجتمع العراق. كي تعزله عن هذه الإرث الحضارية لابد من إجباره على استخدام لغة المستعمر(التركية) لتغيير هويته العربية بمرور الوقت إضافة لسلب ثروات البلاد، واستعباد العباد بتجنيد الرجال قسرا وزجهم في حروب خارج الأوطان

---

1 د.موسى محمد إل طويرش.-العثمانية هل هي خطيئة-دار المرتضى- بغداد-٢٠٠٨م-ص١٥ .

(*)بريجيس دوبريه مفكر وسياسي فرنسي وهو رئيس مجلة ميديوم السريانية التي يصدرها في فرنسا وهو مناضل يساري تلقى تشي غيفارا وسجن في المعتقلات البولينية وشغل منصب مستشار للرئيس الفرنسي ميتران سنة-٢٠٠٧م مؤلفاته الثلج يشتعل وزائر الفجر ١٩٩٨مطبعة الفرات وثورة في الثورة ٢٠٠٦ للمزيد راجع- للمفكر- كتاب،لكي لا نستسلم - ترجمة بسام حجار ١٩٩٥- المركز الثقافي العربي .

2 باقر سلمان النجار- المجتمع المدني في الوطن العربي- المستقبل العربي-العدد-٣٣٨- لسنة٢٠٠٧ م . ص٦٠

مرّ العراق بمراحل عصيبة من تأريخه السياسي قد تكالبت عليه قوى الشرّ للنيل من مكانته الحضارية المرموقة،ولنهب خيراته فحكمه العثمانيون قرابة أربعة قرون بين مدّ وجزر من الاضطهاد، والاستعباد عانى الشعب حالات من ضنك العيش مع حرمان سياسي، واضطهاد عرقي أدى إلى تأخر ثقافي تراكمي لقرون عده إضافة لسوء الأحوال الاجتماعية استمرت ظروف التردي على هذا المنوال حتى بعد الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٧م.استبشر العراقيون خيرا،وأفرحهم الاحتلال ضنوا أنه المخلص لمعاناتهم من الاستعمار التركي المستبد. سرعان ما انقلب الترحاب إلى تذمر شديد لأسباب عدة منها:

أولا- إن مجتمع العراق عاش في الحقبة الأخيرة من السيطرة العثمانية نوعا من الحرية- لم يألفها بعد الاحتلال البريطاني-نتيجة للضعف الإداري، واللامبالاة العثمانية في الاهتمام بشؤون العراق الإدارية.أصبح هم الولاة جمع الضرائب دون مراعاة الحالة المعيشية لمجتمع العراق رغم بعض الإصلاحات التي من المؤمل إن تتم في زمن والي العراق العثماني مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧١م) لم تكن بالفترة الكافية لانجاز تلك الإصلاحات. كانت الروابط بين المجتمع والدولة مغيبة إلى حد ما، والعلائق الاجتماعية تحكمها الأعراف الدينية والعشائرية السائدة آنذاك مما أعطي انطباعا بان إفراد مجتمع العراق غير مقيدون ألا بهذين المتغيرين الديني،العشائري إضافة لدفع الضرائب للأتراك لاجتناب شرورهم لم تكن هنالك قوانين، أو دساتير تحكم تنظم الحالات الاجتماعية، والاقتصادية لمجتمع العراق سوا لوائح ،وقوانين المحتل العثماني التي تخدم ،وتحمي مصالحه في العراق عكس ما عرف عن الانكليز من صرامة في تطبيق اللوائح ،وسن القوانين للبلدان التي تستعمرها ليس حبا بهذه البلدان إنما لسهولة السيطرة عليها وربطها بعجلته الاستعمارية الأمر الذي لم يعتاده مجتمع العراق إبان الحكم العثماني -عدا التشديد في جمع الضرائب كما أسلفنا- لذلك خلق نوع من التمرد ضد المحتل التي للمطالبة بالاستقلال، والتحرر من السيطرة البريطانية١.

ثانيا -: إن الاحتلال البريطاني للعراق زاد من القدرة الشرائية للمجتمع نتيجة لما تنفقه بريطانيا لشراء الطعام، وبناء المعسكرات هذه الزيادة حضت بها مجاميع قليلة من إفراد المجتمع أدت إلى خلق طبقات متفاوتة في مجتمع العراق بين غنى مفرط للأقلية، وفقر شديد عانته الأغلبية انعكس بالضد اتجاه الاحتلال البريطاني٢.

---

١ وصفي احمد- الدولة العراقية الحديثة وإشكالية التأسيس- الحوار المتمدن -العدد -٣١٣٧-٢٧/ ٩/٢٠١٠

٢ علي الوردي لمحات من تاريخ العراق الحديث-الجزء الرابع- الأردن- دار الوراق للنشر- لسنة- ٢٠٠٧-م.ص٣٥٠

ثالثا- حرص الأتراك في حكمهم العراق على تأجيج الصراع بين العشائر وإضعافها حتى لا تكون قادرة موحد لمقاومتهم.هذه الحالة من الشد فسحت المجال إمام أبناء القبائل للنزوح للمدن ،والقصبات تهربا من الالتزام العشائري الرافض للترك في عين الوقت اضعف العشائر لنزوح أبناءها للمدن،إما سياسة بريطانيا هي السعي لتوحيد عشائر المنطقة الواحدة ثم اختيار شيخ واحد ليكون عونا لهم في السيطرة على هذه المناطق يمد بالمال مع السلاح ، وأعطيت لهؤلاء الشيوخ أراضي واسعة بغير حق،وربط مصير هؤلاء الشيوخ بالامبريالية الجديدة ،ومدافعون عن مصالحها. إن طريقة تعيين الشيوخ الجدد للعشائر لم يراعى فيها السنن المتعارف عليها في الاختيار ،وهو هدر لكرامة العرف القبلي المتوارث الموروث من الإباء للأبناء مما ولد استياء لدى شيوخ، وإفراد العشائر الأخرى، وهو سبب مهم لمقاومة المحتل١ الذي كان أشد وطأة وأكثر حقدا من العثمانيين في التفرقة والتمييز الطائفي معتمدا سياسة (فرّق تسد) التي عرفت بها سياسة بريطانيا اتجاه مستعمراتها.

كل هذه الأسباب وغيرها أدت إلى مقاومة الاحتلال الذي كان أكثر لؤما من الأتراك من نهب للثروات، وفرض أنظمة ذات مبادئ لا تتفق مع معتقدات المجتمع الدينية ،وأوضاعه البنيوية حتى مناهجه الفكرية . أقحموا المجتمع بضرائب قاسية أوجدت الشقاق، والتناحر بين أبناء المجتمع كان أشدها بين العشائر.انتشر السطو في أزقة المدن نتيجة لكثرة العاطلين عن العمل أما النزاع العشائري كان بسبب استيلاء بريطانيا على الأراضي الزراعية العائدة لشيوخ مناوئون لها بحجة عدم دفعهم للضرائب ثم إعطائها للشيوخ الجدد. من جملة ما خطط له أيضا محاولة تغيير التركيبة المجتمعية للعراق، وتمزيق وحدته الوطنية،وقتل روح المواطنة(*) عبر توطين آلالاف من الهنود السيخ في مناطق العراق الجنوبية ، ودمج هذه المناطق إداريا بإمارة بومباي الهندية إضافة إلى مسخ الهوية الإسلامية للمجتمع ،وربطه بعجلة الثقافة الغربية٢.

---

1 كاظم المظفر-ثورة العراق التحررية - العراق - مطبعة النجف-لسنة ١٩٧٦م-ج١- ص١-٣

(*)(لا توجد كلمة مواطن في اللغات العربية والتركية والفارسية وإنما كلمة مواطن ذات أصول لاتينية وفي التراث التركي تعني ابن البلد. الآن يعمل الكثير على استحضار واستقدام المواطنة والعمل على تحويلها بعد ما عانت وهما إلى حقيقة بعد ما كانت محصورة بالولاء للأنظمة. إن اعتماد آليات الحكم الديمقراطي من التداول السلمي للسلطة وبناء دولة مؤسسات وحكم القانون والمحافظة على التوازن بين منظومة الحقوق والواجبات واحترام كيان الحريات الفردية بدون هيمنة أبوية أو وصاية باعتبار المواطنة حقا مكتسبا بالانتماء للوطن وحقا طبيعيا للإنسان وعدم اعتماد حقوق إضافية لبعض المواطنين على اعتبار ديني أو عرقي يتنافى مع المبادئ المدنية الحديثة).انظر محمد الشامخ- آليات البناء المدني للإنسان العراقي-مجتمع مدني، صحيفة الصباح-٣١-٧-٢٠٠٩

2 محمد الحسني الشيرازي-صفحات من تاريخ العراق السياسي - قم -إيران- -لسنة ٢٠٠م ص٩

أصيب شعب العراق بخيبة أمل مريرة نتيجة الهيمنة على البلاد ما فتئ إن تخلص من الاستعمار التركي ليقع تحت سيطرة بريطانيا التي ركزت أقدامها ثم جمعت حولها عدد من ضباط الجيش العثماني السابقين اللذين أذوا المجتمع ،ورؤساء العشائر الجدد الذين منحتهم قوات الاحتلال سلطات واسعة للسيطرة على مناطقهم . لكن شعب العراق لم يكن راضياً على ما آلت إليه الأمور حيث قامت عدة انتفاضات ضد الاستعمار ألانكليزي منها ثورة النجف عام ١٩١٨م امتدت إلى الحلة،وكربلاء وقد تمت محاصرة أغلب المناطق التي انتفضت حيث دام حصارها أكثر من ٤٥يوما. وفي السليمانية اندلعت ثورة الشيخ محمود الحفيد عام ١٩١٩م لكن سرعان ما أخمدت لعدم التكافؤ بين الثوار ،والتسليح العسكري البريطاني مع ما يمتلك من مهارات١. استمر الكفاح الشعبي ضد الاستعمار البريطاني بعد إن اتضحت مقاصده لأدامت الهيمنة على العراق حينها أصدرت عصبة الأمم – المسيطر عليها من قبل بريطانيا– صك الانتداب البريطاني على العراق في ١٧ حزيران ١٩٢٠م الذي جاء فيه : {حيث أن حكومة جلالته قد تقررت وكالتها في خصوص العراق ، فنتوقع جعل العراق مستقلاً تضمن استقلاله عصبة عصبة الأمم ، وتكليف الحكومة البريطانية بالمسؤولية في حفظ السلم الداخلي والأمن الخارجي ، وبعد انقضاء الإدارة العسكرية سنعطي السلطة للسير (بيرسي كوكس) لتنظيم مجلس شورى تحت رئاسة عربي }٢. هكذا كشف صك الانتداب الأهداف الحقيقية للسياسة البريطانية مما أثار صدوره موجة غضب عارمة لدى كافة فئات شعب العراق كان لدور عشائر العراق الأثر الكبير في أيقاد الجذوة الأولى التي شملت معظم مدن العراق لمقاومة النفوذ البريطاني. يتفق اغلب المؤرخون إن السبب المباشر لاندلاع الثورة هو اعتقال بعض شيوخ عشائر مدينة الرميثة في السماوة مركز محافظة المثنى ثم امتدت إلى أرجاء العراق كله.كانت المقاومة أكثر تأثيرا وأشدها على المحتل في مناطق الفرات، الفرات الأوسط لوجود علائق قوية بين عشائر هذه المدن الثلاث المثنى،الناصرية،الديوانية حيث تشكل العشائر ثقلا سكانيا في تلكم المناطق. عامل أخر مضاف مهم أجج العواطف في أماكن أخرى من العراق خاصة مناطق عشائر زوبع الممتدة بين بغداد والفلوجة نتيجة لأوامر الحاكم الانكليزي بإلقاء القبض على بعض شيوخ القبائل ثم الاستخفاف بهم، وإذلالهم ، كالشيخ ضاري الشعلان الذي زج في السجن لاتهامه مع بعض وجهاء قبيلته بقتل الكولونيل(لجمان) حكم على الشيخ ضاري بالإعدام لكن وفي حالته الصحية خفف حكمه إلى المؤبد لم تمضي إلا أيام قلائل تدهورت حالته الصحية ادخل

---

١. احمد الحمداني–صفحات من تاريخ العراق الحديث– ف٢– مصر – ٢٠٠٦م–ص٥

٢. المصدر نفسه ص ٧

على أثرها المستشفى رقد مدة قصيرة ثم حقن بمادة قاتلة بعدها فارق الحياة. كما هو ديدن الغرب في تصفية الخصوم إضافة لعجرفتهم، وتعاليهم ،وأكثرهم عنجهية الانكليز . يقول احد قادتهم وهو(Lyell Thomas Reginald Guise)، في مذكراته(إن أهل العراق لهم طبيعة فوضوية مشاغبة معروفة لدى الأوربيين من عدم رغبة العراقيين في الغرب عموما، وبريطانيا خصوصا هو ليس بالأمر الجيد فهم لا يحبذون إي شكل من إشكال الحكم بسبب ما جبلوا عليه بهذه الغرائز التي أصبحت موروثة لهم في التمرد، والخروج على القانون ،واقتراف الجرائم العنيفة)١. لو فرضنا جدلا صحة هذه المقولة كيف يتفق أناس فوضويون حسب تعبيرهم بالتمرد، والعصيان ثم مقاومة المحتل؟ إن الفوضوي لأتكون له أهداف واضحة حتى إن كانت فهي لا تعدو أكثر من كونها عبثية لا ترقى لمستوى الثورة، والتضحية بالأنفس من اجل الاستقلال.لاشك إن مصادرة الحريات زيادة على الاعتداءات المستمرة من جنود الانجليز على السكان الآمنين،وسوء تصرف الحكام السياسيين المعينين من قبل الانكليز، وإشاعة الفرقة بين العشائر، والطوائف أسباب كافية للتصدي لهم ،ومقاومتهم .إن سياسة الإرهاب،البطش، امتهان كرامة الرموز الوطنية التي مارستها، وسارت عليها الإدارة البريطانية شكلت مع غيرها عوامل دفع لقيام ثورة عام ١٩٢٠م التي شارك فيها اغلب أبناء شعب العراق لطرد المحتل ثم تحقيق الاستقلال التام. رغم عدم انجازها بصيغة كاملة إلا أنها أثرت في تغيير سياسة المحتل العسكرية اتجاه العراق من إقامة حكم وطني لأن الاحتلال العسكري كلفهم ألاف القتلى زيادة على الإنفاق المالي الذي أثقل كاهل الخزينة البريطانية التي كانت تنوء بأعباء الحرب العالمية الأولى٢. لتجنب المزيد من الخسائر البشرية والمادية في العراق سعت بريطانيا لعقد مؤتمر القاهرة عام ١٩٢٠ لتدارك الموقف بعد فشلها في حكم العراق بصيغة مباشرة اثر ثورة العشرين لذلك غيرت من سياستها إلى الحكم غير المباشر حيث قامت بتشكيل حكومة ملكية مؤقتة تحت إدارة مجلس من الوزراء العراقيين يشرف عليه الحاكم الأعلى البريطاني. عند العام ١٩٢١ انتخب فيصل أبن الحسين الهاشمي الحجازي الأصل ملكاً على العراق ،واكتفى الانكليز بالاحتفاظ ببعض القواعد العسكرية بعد تكبيل البلاد بقيود ثقيلة ضمنت لهم سيادة فعلية غير مكلفة على مقدرات العراق السياسية ،الاقتصادية،العسكرية،الثقافية مع سائر المجالات الأخرى٣. مقارنة بسيطة بين الاستعمارين العثماني ،الانكليزي ،العثماني تعامل مع العراق لا كبلد

---

1 Thomas Reginald Guise. The Ins And Outs Of Mesopotamia. London: A. M Philpot, 1923. Lynch, Cecelia .P, 192-195.

2 د. عبد الرزاق الحسني- الثورة العراقية الكبرى – ٨٨ لبنان – صيدا-١٩٧٢م-ص٨٧-

3 المصدر نفسه ص٩٤

إدارية واحدة،أو كبلد موحد بل فرضت عليه تجزئة إدارية اجتماعية حيث لم يكن شعب العراق ينظر إلى نفسه كشعب واحدا يسعى إلى الوحدة، والاستقلال في إطار حدوده الجغرافية رغم وجود بعض الحركات القومية العربية السرية مع حركات سياسية تركية كالاتحاد والترقي، وتركيا الفتاة في الولايات الثلاثة السبب يعود للسياسة العثمانية التي قتلت روح المواطنة،و الطموح في مجتمع العراق. إما الاستعمار البريطاني قام بدمج ولايات العراق الثلاث في إقليم واحد مركزه بغداد كانت حركة ذكية لكسب ود العراق، والود العربي المتعاطف مع شعب العراق،ولإيهام العالم بأنهم جاءوا محررين لا فاتحين حسب شعاراتهم المعلنة التي لم تتطلي على مجتمع العراق عندما جاهدهم عبر سلسلة من الأحداث والثورات، والأزمات خاصة بعد ثورة عام ١٩٢٠م الشعبية .من نتائجه مؤتمر القاهرة الذي كان تحت إشراف وزارة المستعمرات البريطانية التي يديرها تشرشل آنذاك هي ترشيح الأمير فيصل بن الحسين ليكون ملكا على العراق حيث وافق فيصل بشرط إجراء استفتاء عام في العراق ثم إقامة نظام ديمقراطي. وافق العراقيون بأغلبية كبيرة جدا على مجيء فيصل ملكا للعراق . بدأت تتشكل في العراق قوى سياسية من الضباط العرب الذين خدموا في جيش الترك مع قيادات سياسية، دينية، محلية إضافة لرؤساء القبائل. سلك البعض السبل الدبلوماسية في التعاون مع الانكليز لتكوين دولة العراق ثم استقلالها آخرون اتجه نحو المعارضة السياسية ثلة أخرى بقيت نزعتها عسكرية تبغي مواصلة الكفاح المسلح ضد الاحتلال١. بدأت تجمعات النخب تتكون في إطار دولة العراق ضمن تحالفات ،ومعارضات لوضع القانون الأساسي للعراق الذي منح الملك سلطة تعليق، وحل البرلمان مع اختيار رئيس الوزراء، وسلطات واسعة في قضايا الأمن، المال حتى صلاحيات تنفيذ بنود المعاهدات. اختير ياسين الهاشمي رئيسا للوزراء ثم استقاله لفترة طويلة نوري السعيد كانت علاقته جيدة بالملك حتى تشكيلة أول وزارة عام ١٩٣٠ بعدها اخذ يتصرف من مركز قوة مما كان يثير حفيظة فيصل الأول كان ينظر إليه بحذر مترقب ما برح إن تفجر شكل صراع سياسي تأمري بسبب قضية تتعلق بإضراب عام ١٩٣١نتيجة لزيادة الضرائب، والرسوم على المواطنين ،وأصحاب المهن من قبل وزارة نوري السعيد٢ أيضا كان الإضراب احتجاجا على فرض معاهدة طويلة الأمد عام١٩٣٠بين العراق، وبريطانيا كان لنوري السعيد الدور المهم في عقد هذه المعاهدة الجديدة لعلاقته الوطيدة مع ألإنكليز. كان الشعب العراقي يدرك من خلال مثقفيه أن المفاوضات لن تطول، وهذا ما حدث فعلا فقد أعلن بيان رسمي للحكومة في٣٠ حزيران ١٩٣٠ عن

---

١ تشارلز تريب -صفحات من تاريخ العراق المعاصر حتى عام ٢٠٠٢م ترجمة- زينة جابر إدريس- الدار العربية للعلوم-بيروت- سنة ٢٠٠٦م- ص٨٥

٢ سعيد أعتابي-ماذا فعل نوري سعيد ليلة وفاة الملك فيصل الأول-جريدة المدى-العدد-١٩٢٩-لسنة-٢٠١٠

توقيع معاهدة صداقة وتحالف مع بريطانيا تنفذ حال قبول العراق عضواً في عصبة الأمم ، وأنها ستنشر في البلدين بوقت واحد يتفق عليه١. في العام ١٩٣٢وافقت هيئة الانتدابات التابعة لعصبة الأمم على قبول العراق دولة مستقلة، وأصبح عضوا في عصبة الأمم.

يعتبر الملك فيصل الأول مؤسس الدولة العراقية الحديثة لخبرته في إدارة شؤون البلاد اكتسبها من خلال حكمه كملك على سوريا قبل إن يأتي العراق.اتصفت سياسته بالازدواجية إثناء حكمه العراق كان يوازن بين ما يريده الانكليز، ومتطلبات بناء الدولة،والمجتمع .اعتمد تعيين قادة من العراقيين اللذين كانوا يشغلون مراكز هامة في سوريا عندما جاءوا معه من سوريا بعد احتلالها من قبل فرنسا اثر معركة ميسلون عام ١٩٢٠م لثقته فيهم ثم تقليدهم مناصب عالية في دولة العراق رغم إن اغلبهم قليلي الخبرة قد حاول الملك فيصل إن يكون قائدا موجها لهم كذلك نجحت سياسته مع الانكليز، وإرضاء الشعب إلى حدا ما حيث حصل العراق على استقلاله ،وخرج من الانتداب البريطاني،واعترف به عضوا في منظمة عصبة الأمم٢. بعد وفاة الملك فيصل في العام ١٩٣٣م صار تكالب الساسة لإشغال المناصب أشد طيلة ثمانية سنوات-(ما أشبه اليوم بالبارحة قد يوحي لنا بان التاريخ يعيد نفسه بعد قرن إلا نيف من السنين لكن بصيغ أكثر شراسة)- حالة مزرية من التأمر ،والدسائس أرادت إن تبعد الملك غازي الذي اخلف أباه الملك فيصل كان شابا قليل الاهتمام بعالم السياسة. حاول نوري السعيد جاهداً منع الأمير غازي من إن يكون ملكا خلفاً لوالده أراد تنصيب عمه الأمير زيد مكانه إلا انه فشل في مسعاه بسبب معارضة رئيس الحكومة رشيد عالي الكيلاني٣. حدث ضد الملك غازي أول انقلاب عسكري فاشل في فترة حكمه قادة بكر صدقي(*) ١٩٣٦م محاولة من صدقي لإعادة وزارة حكمت سليمان للحكم توالت حكومات قادتها شخصيات قوية نافذة في عهد غازي لكنها واجهت صراعات ،وانقلابات خطيرة كانت أبشع فترة حكم مر فيها مجتمع العراق من إهمال، وتهميش بسبب تعاقب أنظمة الحكم التي لم تتمكن من تحقيق مصالح المجتمع أو لعلها كانت تتغاضى عن مطالبه . بعد وفاة الملك غازي عام ١٩٣٩/٤/٤م اثر حادث دبر له تولى مجلس الوزراء حقوق الملك الدستورية، وفقاً للمادة ٢٢ من الباب

---

1 د.لحامد الحمداني -صفحات من تاريخ العراق-مصدر سابق- الجزء الخامس ص١٢

2 سليمان موسى - مذكرات الأمير زيد - عمان -١٩٧٦م- ص٢٠٤

3 عبد الرزاق الحسني - تاريخ الوزارات العراقية-الفصل -٧ -بغداد- دار المأمون للنشر-١٩٨٨-م -ص٣١٩-ص٣٢٠.

(*)ولد بكر صدقي عام ١٨٦٦ من أبوين كرديين ، في قرية [عسكر] قرب كركوك . درس في الأستانة ، في المدرسة الحربية وتخرج منها ضابطا في الجيش العثماني، وشارك في الحرب العالمية الأولى ، في آخر سنيها ، وبعد نهاية الحرب وانسحاب الإمبراطورية العثمانية ، انضم إلى الجيش العراقي الذي تأسس في ٦ كانون الثاني ١٩٢١ برتبة ملازم أول) للمزيد راجع حامد الحمداني م.س .ذ الفصل الثامن- ص١-١٢

الثاني من الدستور العراقي الملكي لعام ١٩٢٥ م ، وجرى الإعلان عن تولي فيصل الثاني ابن الملك غازي ملكا للعراق تحت الوصايا لصغر سنه ثم سمي خاله عبد الإله وصياً عليه.كان مجتمع العراق يعرف آنذاك مقت الملك غازي، وكرهه الشديد لابن عمه، واخو زوجته عبد الإله نتيجة لتصرفاته الطائشة لذلك لا يعقل إن يوصي غازي لعبد الإله ،ويأتمنه على المملكة ،وطفله الذي لم يكن يتودد اليه كما أن الملك غازي بعد الحادث حسب التقرير الطبي كان فاقد للوعي حتى وفاته١. الحقيقة أن وصاية عبد الإله رتب لها من قبل السفارة البريطانية ،وحكومة نوري السعيد الذي هيمن على الحياة السياسية العراقية حتى العام ٢١٩٥٨ ساهم العراق برئاسة نوري السعيد في تأسيس جامعة الدول العربية ١٩٤٤-١٩٤٥وفي صياغة ميثاقها الذي أكد على استقلالية الدول الأعضاء، وفي عام١٩٥٥ وقع العراق معاهدة حلف بغداد مع تركيا بحجة الدفاع عن السلم والأمن في منطقة الشرق الأوسط من الخطر الشيوعي وبدوافع بريطانية حيث انضمت إليه لاحقا،وانضمت إليه كلا من إيران، وباكستان مما اثار معارضة عراقية ،وعربية ضد هذا المشروع لان الخطر الحقيقي في المنطقة العربية هي إسرائيل ومن يقف ورائها، وليس الاتحاد السوفيتي الذي أمسى الممول الأكبر للدول العربية بالسلاح لمواجهة إسرائيل.لذلك اتهم نوري السعيد بتهديد الأمن القومي العربي بعد استنكار الرئيس المصري جمال عبد الناصر للحلف٣. وكان نتيجة هذه المتغيرات التي انعكست على المنطقة ومنها العراق وقع انقلاب عسكري عام ١٩٥٨ بقيادة العميد الركن عبد الكريم قاسم، والعميد عبد السلام محمد عارف الذي انهى نظام الملكية في العراق لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل النظم السياسية التي مر فيها العراق،وهي النظام الجمهورية الذي شاركت فيه الأحزاب السياسية الاشتراكية،القومية، اليسارية حيث بدأ العراق يسلك اتجاه لتأميم ثرواته الإستراتيجية وفي مقدمتها النفط، وتوزيع الموارد على العراقيين، ونشر التعليم، وتوجيه مشروعات التنمية الاقتصادية للنهوض بالمجتمع للتحرر من عبودية العوز، والاهتمام بالوعي السياسي لدى الجماهير الشعبية الواسعة التي كانت محرومة من المساهمة الفعلية في النشاطات السياسية، وبذلك رفع مستوى الوعي بحقوقها وواجباتها الوطنية، والانخراط في نشاطات الأحزاب السياسية. إطلاق حرية التعبير الفكري، والعمل النقابي، السياسي، الثقافي٤. إن طبيعة النظام الملكي بعد الملك فيصل الأول تغيرت نحو الاسوء خصوصا الأعوام ألثمانية التي تلت وفاته أصبح الوضع المجتمعي العراقي غير

عبد الرزاق الحسني- تارخ الوزارات العراقية- ص٣٤٠.

د. محمد احمد النابلسي-الحرب النفسية في العراق- الأسبوع العربي-لسنة-٢-٦-٢٠٠٣م.

محمد الحمداني م.س.ذ- الفصل ٩-ص١٦.

عبد الخالق حسين- منجزات ثورة ١٤ تموز١٩٥٨- موقع عبد الخالق حسين.

قادر على مواجهة التحديات الداخلية المشحونة بين القيادات السياسية الحزبية،والعسكرية١. استبشر مجتمع العراق بثورة تموز للخلاص من الأوضاع التي كانت سائدة لكن رغم ما جاءت فيه الثورة من روح التجديد، والحداثة من سن للقوانين التي تحمل في ثناياها بذور التقدم مع عدم حصر الثروة والأراضي بيد طبقة اجتماعية معينة بل وزعت الأراضي على الفلاحين وفق قانون الإصلاح الزراعي كذلك إخراج البلاد من المعاهدات غير المتكافئة،والتحرر من دائرة التبعية الاستعمارية،وإطلاق بعض الحريات الأساسية أيضا تشريع قانون جديد للأحوال الشخصية، وغيرها من القوانين، إلا أنها عسكرة المجتمع حيث باتت السلطة كاملة بيد العسكر مما ساد العنف السياسي، والعسكري، وإقصاء القيادات المدنية ثم إبعادها عن المشاركة في القضايا العامة لشؤون الدولة والمجتمع. وجدت الثورة نفسها تتخبط بين طموح رجالاتها الشخصية وبين الالتفاف عليها من قبل مناوئيها.جاءت معالجات الأمور السياسية من خلال القمع باستخدام القوة ،والبطش ضد المتمردين،والمعارضين من رجال الثورة دفعت بالقيادات العسكرية للتآمر ضد بعضها البعض وصلت أحيانا إلى محاولة اغتيال قائد الثورة ذاته وتصفيته ال تقييم الفترتين الملكية ،الجمهورية ، وما آلت إليه الأوضاع السياسية في العراق، وانعكاسها على المجتم يمكن نقاشه من خلال بعض أراء ذوي الاختصاص في كلية العلوم السياسية- الجامعة المستنصرية أجرته صحيفة الصباح(*) يرى البعض (إن ثورة ١٤تموز ١٩٥٨م كانت انقلابا أطاح بنظام سياسي كان قائما على أساس انتخابي كمنطلق لبناء نظام سياسي ملكي دستوري تضمن فيه الحريات الأساسية للمواطنين في عين الوقت تسيير عملية الأعمار وفق الخطط التي وضعها مجلس الأعمار لتنمية شاملة ينتقل العراق بموجبها إلى مرحلة جديدة تؤهله لان يكون في مصاف الدول المتقدمة)٢.القول بدستورية النظام السياسي الملكي فيها نظر لان الملك له السلطة، والصلاحيات في إقالة ،أوحل المجلس حتى الانتخابات كانت على مرحلتين الأولى اختيار أعضاء ثانويين، والمرحلة الثانية قيام هؤلاء الأعضاء بانتخاب من يريدونه، وهي عملية التفاف على ديمقراطية ونزاهة الانتخابات وضعتها بريطانيا لضمان وصول الموالين لها.إما كونها انقلابا ففيه بعض البس لان الانقلاب تغيير شخصنة السلطة أو النظام مع ثبوت شبه مطلق للأوضاع السائدة لكن ما حصل هو إن التغيير كان شموليا بدا بعصب السلطة

---

1 – د.عبد الخالق حسين- هل كانت ثورة ١٤ تموز حتمية؟-محور دراسات وأبحاث في التاريخ والتراث-الحوار المتمدن-العدد ٢٧٠٧-٢٠٠٩/٧/١٤م.

(*)لقاء مع د.عزيز جبر شيال أجرته صحيفة الصباح في٢٠٠٩/٧/١٠م.

2 طه حسين-١٤تموزثورة لتغيير النظام الملكي أم انقلاب على نظام سياسي مستقر؟- أفاق إستراتيجية- صحيفة الصباح-العدد ٧-٢٠٠٩م.

وانتهاء بالقوانين التي تنظم العلائق المجتمعية.ومنهم من يرى بوجوب استدراك عوامل قيام ثورة ١٤ تموز في العراق، وفهم مسألتين تتعلق الأولى بمقوماتها ، والثانية تتعلق بوعي ،وفهم العوامل التي أدت إلى قيامها، وإرجاعها إلى مطلع القرن العشرين لا شك إن ذلك الإدراك لن يتكامل ما لم نضع المؤشرات الواضحة مع الخرائط الجغرافية ،التاريخية ،الثقافية ،الاجتماعية ،الاقتصادية،السياسية للبلاد في تلك المرحلة ثم معالجة تلك المؤشرات باستخدام وسائل فكرية، وأساليب علمية لبيان كيفية وقوع مثل هذا الحدث التاريخي الكبير الذي قضى على النظام الملكي، وأعلن ولادة النظام الجمهوري في العراق(*). إن مشروعية وشرعيته الثورة انطلقت من حق المجتمع في المقاومة كي يغير النظام السياسي لطغيانه، وعدم احترامه لإرادته بذلك تكون الشرعية واجب ضرورة لان أرادة المجتمع فوق القوانين الوضعية هو الذي يخلقها، ويقرها. إما بخصوص مشروعيتها هي كونها نقطة تحول في الحياة الاجتماعية للإطاحة بنظام اقل ما فيه ارتباطه بمعاهدات استعمارية مستغلة لثروات البلاد، ولا توجد فيه نية صادقة للحداثة والتطور المجتمعي.

حققت الثورة(*) الاستقلال السياسي للعراق،وحافظت على كيانه وسيادته الوطنية الكاملة وإلغاء جميع المعاهدات الاستعمارية الجائرة المخلة بالسيادة الوطنية المرة الأولى في تاريخ العراق تم التأكيد على الوحدة الوطنية ،وحقوق القوميات بالمشاركة الفعلية في إدارة الدولة التي كفلها الدستور المؤقت ضمن (المادة الثالثة) لسنة ١١٩٥٨/٧/٢٨. هنالك أسباب عده عرقلت مسيرة الثورة خارجية منها الطوق الإقليمي إضافة للتآمر العربي الذي ما انفك يسعى لإسقاطها مع تخريب منجزاتها بتأليب الأحزاب في العراق لتمزيق لحمته الوطنية،وتدمير نسيجه المجتمعي المتنوع كما هو ديدنها اليوم ،وقد نجحت لاحقا في زرع بذرة الشقاق، والتجزئة إلى حد ما في إيجاد أفكار ذات اتجاهات تستبعد عمدا أطراف من النسيج المجتمعي لتغير ملامح هويته التعددية ألملازمه له منذ نشأته،وتغريب شرائحه عن كل أنماط الارتباط بوطنيته .لا شك إن ذلك أدى إلى إفشال أية محاولة جادة لتشكيل أو إقامة مشروع وطني لبناء دولته العصرية الطموحة والمنفتحة على العالمين العربي،والإسلامي.هناك أسباب حالت دون ذلك منها عدم وعي قادة الثورة أو استغفالهم حقيقة كون العراق جزء من الأمة العربية أولا، والأمة

(*) لقاء مع د.عبد الأمير محسن جبار الأسدي أجرته صحيفة الصباح في ١٠م٢٠٠٩/٧ م.

(*) الثورة،لا تعني المقاومة الدموية أو الانتفاضات الفوضوية ضد الدولة أو الحكام الأجانب، بل التغييرات الجذرية التي تحدث في البنية والمجتمع والعقلية السائدة. إن التمرد والحروب هي مقدمات الثورة وكذلك عواقب الثورة، أما الثورة الحقيقية فهي المتغيرات الجذرية التي تنقل الوطن بأكمله من عصر إلى أخر أكثر تطورا اقتصاديا ونضوجا فكريا وعقليا للدولة والمجتمع.

(*) الدستور العراقي المؤقت لجمهورية العراق الصادر في جريدة الوقائع- بغداد يوم٢٧/ ٧ / ١٩٥٨

الإسلامية ثانيا حيث لا يمكن تعطيل، أو حذف دوره التاريخي،الإسلامي فهو يدخل في صميم التركيب العربي ،والإسلامي بكل مكوّناته، ومقوّماته. سواء أكان على مستوى تلاحمه مع استقلال مجتمعات هذا التركيب أم على صعيد تطورها، ورقيها حتى إنسانيتها. بل انه جزء أساسي من مستقبلها واستقرارها ووحدتها.مجتمع العراق له باع طويل في عملية التواصل، والانسجام مع هذين العالمين فهي حقيقة أهملت التعامل مع هذين المتغيرين بدليل إن مشروع الوحدة أو الاتحاد التي دعت إليه الجمهورية العربية المصرية لم يكن ضمن أهداف الثورة إلا في حالة تعرض العراق لخطر هجوم خارجي وفق ما نص عليه ميثاق جامعة الدول العربية. فشلت الثورة أيضا في تأسيس نظام ديمقراطي بسب استمرار الحكم العسكري لشخصنه الزعيم، أو القائد الأوحد أفضى إلى عدم التأسيس لمبادئ ديمقراطية حقيقية لإجراء انتخابات تقوم على أسس العدالة، والمساواة بين أبناء المجتمع.كذلك فشل النظام السياسي للثورة في حل بعض قضايا الأقليات حلا وطنيا عادلا. إن النظام السياسي الجمهوري الذي ابتدأ بحكم عبد الكريم قاسم عام ١٩٥٨م الذي أطاح بالنظام الملكي من ثم سقوط نظام قاسم من قبل عبد السلام عارف عام ١٩٦٣م ،وبعده جاء أخيه عبد الرحمن عارف وصولا إلى احمد حسن البكر عام ١٩٦٨م، وصدام حسين، ولحدّ الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠١م شكلت مراحل من الانحطاط الفكري،والاضطهاد السياسي، والحرمان من التمتع بالحقوق ويعد الاحتلال المتغير الأكثر تأثيرا في تمزيق وحدة المجتمع حيث أمست الطائفية والاستبداد مع الابتعاد عن القيم هي السمات الأساسية للعمل السياسي إضافة لما ورثه المجتمع من النظم السابقة ذات الطابع العسكري الذي كان سائدا حيث لا ترى أي مظهر للحياة المدنية، و حجبا لممارسة النشاط الحزبي ألتعددي الذي انعدمت معه الحياة النيابية .أضاف الاحتلال متغيرات جديدة لم يألفها مجتمع العراق بصيغتها الواسعة المبرمجة من عمليات اعتقال عشوائي وتهجير منظم مع التصفية الجسدية أضحى شعب العراق مع هذه الحالات يعيش نوعا من الاغتراب المزدوج زيادة على انتشار الأمراض الجسدية،والنفسية[1].

خلاصة القول ان تاريخ دولة العراق، ونظمها السياسية المتعاقبة كانت تقيم الدولة على أساس قوتها العسكرية بغض النظر عن تحضرها، وتمدنها فهي فاقده لتنظيم العلاقة بين المجتمع، والدولة أكدت على بناء هيكلية الدولة ولأدامت مؤسستها العسكرية التي لم تصمد إمام المحتل فترة لا تحسب من الزمن- أكثر من تركيزها على بناء المجتمع الأمر الذي أدى إلى تضخم جهاز الدولة

1 د محمد احمد النابلسي-الحرب النفسية في العراق- الأسبوع العربي-لسنة-٢-٦-٢٠٠٣م

...، وجعلت العراق لا يسير وفق سياسة اقتصادية واضحة المعالم تسوده البطالة المقنعة مع تضخم ...ازه الإداري الذي أثقل كاهل الدولة،وعجز في ميزان المدفوعات لكثرت مديونيتها لدول العالم التي ...ثقل المجتمع بتسديدها .

...حور الثاني:- الاحتلال الأمريكي للعراق عام٢٠٠٣م و أمركة مجتمعه .

Axis II ;-The U. occupation of Iraq in 2003 and Americanization of society

الأمركة، (بالإنجليزية أمريكا نيزيشن Americanization)٢ مصطلح غير معرف في معاجم ...غة السياسية العربية منها، والغربية، رغم شيوع استخدامه منذ الربع الأول من القرن العشرين إذ صدر ...تاب (أمركة العالم) للكاتب برينون وليم(Brinon William)عام ١٩٠١ عرض بعد مئة عام إي منذ ...اية القرن التاسع عشر تبلور الفكر الغربي ،ونظرته للعالم انطلاقا من حقيقة الكون،والمادة،وما تتحكم ...ه من قوانين حركية ،ومادية، وعدمية الاستسلام لما يكون خارج نطاق تحكم تلكم القوانين.الدالة ...مصطلح الأمركة وفق حقيقة الكون وكثيرا ما يتداخل مع مفهوم العلمانية الشمولي ليس فقط فصل الدين ...ن الدولة بل يشمل تجاوز القيم، والثوابت باعتبارها رموز روحانية غير مرتبطة بدينامكية ...الدة،وقوانينها الحركية.

البعض يرى إن الأمركة هي العولمة لكن العولمة تختلف عنها لأن مجال اختصاصها هو ...تيات ،والسياسات ،والمعلوماتية كالتقنيات الاقتصادية ،النظريات السياسية، وغيرها٣. هذا مالا ...تضمنه مفهوم الأمركة.

"العولمة" عالم متجرد من كل القيم الدينية المتعددة، والعادات، والتقاليد، واللغات المختلفة ...والمتباينة بين سكان الأرض وهي تختلف عن مفهوم العالمية التي مجالها القيم،الحريات ،الثقافات٤ .

...الأمركة هي قيم تتحكم فيها العولمة التجارية...فالشركات العابرة للقارات هي التي تحدد ثقافة اليوم، ...فالأمركة هي احتلال العالم وغزوه ثقافيا وايدلوجيا، والسعي دوماً لتحقيق هذا الهدف بالسيطرة ثم ...التلاعب مع الإخضاع وصولاً إلى تصميم نموذج للثقافة الأمريكية التي تنوء تحت ضغطها اغلب دول ...العالم الحالي.مع امتلاك القوى العظمى لديها فقد تزايد الشعور الأمريكي بالقدرة على تحقيق أهدافها بكل

...د الحسيني الشيرازي.م.س.ذ.ص٢١

Golden Al-Wafi Translator-Version 1.12-By-ATA-Software-Technoology-Ltd-t-20...

...د عابد الجابري - قضايا في الفكر المعاصر - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - لسنة - ١٩٩٧ م - ص١٣٥-

...سى الحياوي - العولمة ورهانات الإعلام - كتاب سلسلة شراع - عدد ٢٣ - لسنة - ١٩٩٨ م - ص١٢ .

سهولة لتعزيز نظرتها الاستعلائية التي ترى في الثقافة الأمريكية النموذج الأصلح للعالم،و تحت شعار النظام العالمي الجديد ترجمت الولايات المتحدة تفردها كقطب أوحد مستفيدة من انهيار الاتحاد السوفيتي حيث بدأت حروبها مع العراق ،ولم تجعلها حرباً عسكرية بالمعنى الكلاسيكي للحروب أكثر من اعتمادها على التفوق العسكري التقليدي١.

يمكن القول بان الأمركة هي ليست حديثة العهد في سعيها لتحقيق الحلم الذي يراود حكامها بل هو قديم تمتد جذوره منذ تاريخ نشأتها ،والسبل لتحقيق ذلك هو عن طريق استخدام القوة لإرساء العالم حسب تصور الساسة الأمريكان . الحقيقة يؤكدها المؤرخ الأمريكي ريتشارد ايميرمان (أن القادة والأمن الأمريكيين يعتمدان بشكل أساسي في الحصول على المواد الأولية من العالم وبالتدخل في أسواقه الداخلية ، وبالأخص في دول العالم الثالث التي يجب أن تبقيها الولايات المتحدة تحت السيطرة الشديدة)٢. كأن هدف الإستراتيجية الأمريكية التقليدية هو البقاء على الأوضاع القائمة في العالم ،والشرق خاصة للحافظة على مصالحها رغم التغييرات التي طرأت عليها،وان فلسفتها تنطلق من تصور خاطئ للديمقراطية ،واليات عملها الذي لا تتفق مع قيم الثقافة العربية ،والإسلامية هذا لا يعني ان أمريكا كانت لا تحبذ تصدير فكرة الديمقراطية للبلدان العربية، وغيرها لان مصالحها مصانة من قبل النظم السياسية لتلك الدول الموالية لها عدا ذلك فهي تشدد على قيم الديمقراطية، وحقوق الإنسان عندما تنتهك مصالحها،ولكن بعد أحداث الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١م وجدت بان الأوضاع السياسية والاقتصادية للنظم السياسية لأغلب الدول العربية هي المسئولة عن الإرهاب لغياب الديمقراطية فيها مما حدي بها لمحاولة فرض رؤى جديدة للديمقراطية على العالم ،حتى لا يحدث خرق، أو تهديد لأمنها ومصالحها في المنطقة العربية ،والعالم٣. ضمن الأهداف الأمريكية الجديدة تغيير هذه النظم وفق المخطط الجديد كان العراق ثاني أولوياتها حيث لا يمكن إغفال دوره المعارض للسياسة الأمريكية في المنطقة رغم الماسي التي جرت،وتجري عليه كل هذه المتغيرات كانت طارئة وزائلة.لكن الطامة الكبرى التي لم يحسبها النظام بشكلا أكثر حبكة لافتقاره للحنكة السياسية إلا إن تمت مهاجمة العراق من قبل قوات التحالف الدولية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية بحرب غير عادلة ،ولا متكافئة بعد إيقاف عمل بعثات التفتيش الدولي حول مزاعم امتلاك العراق أسلحة دمار شامل تهدد الأمن ،والسلم في المنطقة

---

1 د محمد احمد النابلسي-الحرب النفسية في العراق- م.س.ذ

2 Richard Immirman- Diplomatic History-US-1990-p65

3 اشرف محمد عبد الله ياسين-السياسة الأمريكية تجاه الإصلاح السياسي في الشرق الأوسط-المجلة العربية للعلوم السياسية العدد-٢٦-لسنة-٢٠١٠م -ص٦٧-٦٨.

والعالم رغم إعلان كبير مفتشي الأسلحة في العراق- هانز بليكس- تقريرا بأن العراق كان متعاونا لحد كبير مع المفتشين، وهم بحاجة إلى مزيد من الوقت للتأكد من إثبات النوايا الحسنة للعراق لكن السفير البريطاني في الأمم المتحدة أعلن بان السبل الدبلوماسية مع العراق قد استنفذت، وتم إجلاء مفتشي الأمم المتحدة من العراق، ومنح رئيس دولة العراق مهلة ٤٨ ساعة لمغادرة البلاد أو مواجهة الحرب[١]، وسملت(*) أعين العالم بذرائع أمريكية مفادها إن النظام في العراق لم يساهم بشكل فعال في إزالة ما يملك من أسلحة دمار شامل، وبعد هجوم كاسح من جنوب البلاد استمر بضعة أسابيع تم احتلال العاصمة بغداد بحرب قذرة لم تراعى فيها حرمات استخدمت فيها كل أنواع الأسلحة المحرمة دوليا طالت سكان المدن ،والقرى الآمنة البعيدة عن العمليات العسكرية . صحيح إن سيناريو إحداث ١١ أيلول(**) المفتعل هز سياسة أمريكيا ظاهريا لكنه أعطى الحجة لإعلان الحرب ضد ما أسمته بالإرهاب حيث خيم هاجس الخوف اغلب مناطق العالم تحسبا من التمدد لأمريكي لتصفية الحسابات بذريعة ما أسمته بالحرب ضد الإرهاب أصبحت الحياة لا تطاق بدا بإحداث ما ابتدعته أمريكا وجعلته قانون يسمح لها بالذهاب، والإياب لدول العالم حيثما تشاء أي وقت يحلو لها وفق ما تقتضيه مصالحها التي لا تنتهي، ولن تنتهي لاستعباد البلاد، والعباد ،بحسب المقولة العربية التي تقول/ من امن العقاب ساء الأدب/ . أمريكا أمنت العقاب وأوغلت بإساءتها التي جلبت الويلات ، والنكبات لشعوب العالم خصوصاً شعوب المناطق الاقتصادية ذات المطمع الأمريكي. بدأت بوادر التهيؤ لضرب المناطق المرشحة مسبقا ضمن مخططها الاستراتيجي في الشرق الأوسطي حيث الغنى والثروة، ونظم سياسية متباينة ذات طابع راديكالي شمولي غير قادرة على الوقوف في وجه المد البربري الأمريكي الذي احتل أفغانستان بذريعة تنظيم القاعدة ومجاميع طالبان المتمركزون في أفغانستان ثم بعد ذلك استكمل المخطط باحتلال العراق .

---

[١] شمخي الجابري -لمحات من الواقع العراقي-الحوار المتمدن- العدد-٢٤٢٦-٦-١٠-٢٠٠٨م

(*)سمل العيون استخدمه التتار،والترك عند احتلالهم للبلدان العربية،وهي عملية فقأ العيون بتقريب السكين أو السيف المحمي بالنار أمام عيون الخصم مما يؤدي إلى فقدانه البصر،وكانت تستخدم ضد الخلفاء لإزاحتهم عن الخلافة والإيتاء بغيره من الموالين لهم ،حيث لا يجوز إن يكون الخليفة ضرير حسب الشريعة الإسلامية.

(**)أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ هي مجموعة من الأحداث التي شهدتها الولايات المتحدة في يوم الثلاثاء الموافق ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م. تم تحويل اتجاه أربع طائرات نقل مدني تجارية وتوجيهها لتصطدم بأهداف محددة نجحت في تلك ثلاث منها. الأهداف تمثلت في برجي مركز التجارة الدولية بمنهاتن ومقر وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون).سقط نتيجة لهذه الأحداث ٢٩٧٣ ضحية ٢٤ مفقودا، بالإضافة لآلاف الجرحى والمصابين بأمراض جراء استنشاق دخان الحرائق والأبخرة السامة (وللمزيد انظر: من يقف وراء أحداث ١١ سبتمبر؟ ومن المدبر الحقيقي لها؟ شبكة الصحافة غير المنحازة . Voltaire net.org)

بدا تنفيذ مخطط احتلال العراق بعد ما جاء تقرير_توني بلير_ رئيس الوزراء البريطاني عن قدرات العراق العسكرية. في نوفمبر/ تشرين ثاني ٢٠٠٢ موافقا لما طلبه الرئيس الأمريكي جورج بوش من قادة العالم المجتمعين خلال جلسة للجمعية العامة للأمم المتحدة في الشهر نفسه أن يواجهوا الخطر الجسيم والمتراكم للعراق،وضرورة ضرب بغداد واحتلالها. في الأيام التالية لدخول القوات المحتلة عاصمة العراق سيطر المقاتلون الأكراد ،والقوات الأمريكية على مدينتي كركوك، ومحافظة نينوى الشماليتين، ووقعت أعمال نهب واسعة في بغداد ،وغيرها من المدن حيث دمرت كل مؤسسات الدولة العراق عدا وزارة النفط بمؤسساتها لأنها تشكل العصب الرئيس لاقتصاد العراق ،وهي من أولويات الأهداف الأمريكية١.الغزو العسكري للعراق اضعف إمكاناته الاقتصادية مع تدهور الوضع الأمني الذي عم مختلف أوجه الحياة كانت مثيرة للفزع تنطوي على خراب عارم لمؤسسات الدولة الخدمية والأساسية إضافة للتلوث البيئي الذي خلفه اليورانيوم المنضب الذي استخدمته القوات المحتلة في عموم مناطق العراق أدى إلى ظهور إشعاعات نووية كانت عواقبها وخيمة على الصحة العامة كما بينته تقارير الأمم المتحدة٢ الواقع السياسي للعراق بعد ٩/ ٤/ ٢٠٠٣م ، والقوى الفاعلة فيه مجاميع من عناصر يغلب عليها طابع الفوضوية ،والجرم المشهود ممن كانوا في السجون بإحكام جرمية أطلقهم المحتل ليصنعوا جزءا من اللعبة السياسية بعد أن أصبح العراق ساحة لصدامات و تصفيات سياسية، و بلداً يعاني من فراغ سياسي حقيقي لذا بات الوضع الاجتماعي هشا تسوده الفوضى، ، وارتفاع مستوى الجريمة بكل إشكالها.

أصبح البلد يعاني من تخلف اقتصادي شديد ظل وضع العراق في هذه الفترة سيوسم بتناقضات متباينة في الرؤى السياسية لمستقبله حول إشكالية ما تبقى من هيكلية الدولة ضمن محاولات ترميميه بسيطة استعدادا للبدء في بناء نظام سياسي للدولة حيث طرحت عدت بدائل لاختيار نظام بعينه لكن كيف يكون النظام هل يكون نظام فدرالي؟ أم مركزي؟ من الممكن للمرء الاستغناء عن هويته القومية بالطرائق القديمة لاكتسابها داخل المجتمع ، أو حتى يكون بدون عائلة، ولا ممكن بالطبع الانتماء ديني يمكنه إن يعيش حياته بشكل تام حتى بفقدانه القومية ،الدين،الأهل.. . لكن بدون حياته لا يستطيع لأنه مهدد بأمنه وحقوقه كانسان ويكون مغتربا عن أي ارض إلا ضمن دولته، وتنتهك

---

1 حسن حسين كاظم -باتوراما الامريكوقراطية وتفتيت العراق -مجلة الأستاذ -العدد-٧٠-لسنة-٢٠٠٨م-ص٨٣٣

2 Dr.KAL-Azzwi, ((Depleted Uranium Radioactive Contamination Iraq ;An Overview, (3)Global Research 31 August 2006

السياسي١. بغض النظر عن ماهية نظام دولته السياسي فالنظام ضرورة لإدارة المجتمع، والدولة. النظام الفدرالي يقوم على أساس المبادئ الديمقراطية وتوزيع الصلاحيات بين الأقاليم أو الجمهوريات المؤلفة منها وفق دستور فدرالي متفق عليه.

إما الحكم المركزي هو نقيض الفدرالية حيث مركز السلطة يستأثر بكافة الصلاحيات في إدارة الدولة.إن مشكلة بناء دولة العراق لا تكمن في فلسفة اختيار النظام الأصلح فقط منذ تأسيسها عام ١٩٢١م،ولوقتنا الحالي.حيث كانت الحكومات المتعاقبة تهتم بتشييد الدولة ناهيك عن مقدار مدنيتها فهي تفتقر للعلاقة بينها، وبين ومؤسساتها الإدارية أكثر من تأكيدها على بنيوية المجتمع، وان فئات اجتماعية بذاتها هي صاحبة النفوذ٢. بما أن النظام الفدرالي يقوم على أساس اتحادي بين أقاليم، أو جمهوريات متعددة يحق لكل منها الانفصال عن الدولة الفدرالية، وإعلان استقلالها بشرط مراعاة قواعد ومبادئ الديمقراطية، وهذا هو المطلب الأمريكي المراد تطبيقه في العراق٣. إن الانحطاط السياسي العراقي من جانب، ولإدامة الهيمنة الاستعمارية لفترة طويل من جانب أخر هي دوافع تؤدي غالبا إلى تشجيع الانفصالية، والتشرذم حيث إن الدعوة للفيدرالية في مثل هكذا ديمقراطية هي دعوة لتجزئة مهذبة ادعتها أمريكا في العراق قبل إحداث ١١ايلول في شمال العراق لتفتيت المجتمع الواحد ضمن حكومات محلية متناحرة.

إن فكرة الفيدرالية من الناحية التاريخية جاءت كفكرة لحل الأزمات٤، وصيغة عملية معقولة ومحاولة جادة لاختيار بديل توافقي لترميم الخلل الذي تعاني منه الدولة بسبب وجود خلافات قومية،أثنية، نتيجة للتركيبة السكانية للدولة التي نشأت نتيجة لاستلاب أراض الغير،وضمها للدولة،وبالتالي أصبحت تشكل عائق للدولة، أو بسبب عفوية التكوين المجتمعي البدائي لصيرورة الدولة، وربما الفدرالية كحل لتخفيف حدة التقوقع،والانغلاق القومي،والسياسي الذي تتعرض له الدولة كما هو الحال في نماذج كلا من سويسرا،كندا ،روسيا،ألمانيا ذات التباين الكبير. نجحت الفدرالية في سويسرا، وعدم ثباتها في روسيا، وكندا لارتباطها بخصوصية المكون القومي، التاريخي، الجغرافي.

---

١. جورج جوزيف –الأصول الوسيطة للدولة الحديثة –الكويت دار التنوير–١٩٨٢م–ص١٨.

٢. احمد سلوم– بناء الدولة المدنية في العراق – صورة عن الواقع والتحديات –الحوار المتمدن– العدد–٢١٨٨–في–١١–٣–

٣. ديفيد شريف وانلي – آراء وأمثلة حول تطبيق الفدرالية في العراق – مطبعة المشرق– لوزان – سويسرا– في ٩ حزيران ١٩٩٢–ص٥٤.

٤. عبد الجنابي – الفدرالية في العراق – خطوة إلى الوراء–موسوعة تركمان العراق

فالقوميات في روسيا أصيلة المنشأ، وتاريخ نظامها السياسي الموحد يشير لذلك ناهيك عن بعض التمرد، والعصيان الذي لا يرتقي لمستوى الانفصال فهي حالات تنشا عند ضعف مركز السلطة والشيء نفسه يمكن قوله عن كندا ١.

إن حقيقة الفيدرالية المزمع تطبيقها في العراق ضمن ظروفها الحالية يجب أن تؤكد على تعميق ،وترسيخ فكرة المواطنة في التعامل مع الأحداث بما يخدم مجتمع العراق. أن العراق لم يعاني في يوم من الأيام نقص في موارده أو قلة ثرواته الطبيعية الأمر الذي قد يؤدي إلى التزاحم ، والانفصال مثلما هو في بعض الدول، ولكن العلة كامنة في طبيعة ألنظم السياسية الحاكمة التي تعسفت في نفوذها وشموليتها في السيطرة على المجتمع ،وثرواته بعيداً عن القيم ،و مبادئ العدالة الاجتماعية خلاصة القول إن الفيدرالية تتطلب وجود ولايات، أو دول تمثلها بموجب دستور عام، وتتمتع هذه الولايات أو الدول بصلاحيات، واسعة في الحكم الداخلي المحلي فقط، ويقوم جهاز فدرالي مركزي يتولى السلطة الشاملة على هذه الولايات من الناحية السياسية ،الاقتصادية ،العسكرية يقوم بعقد الاتفاقيات ،المعاهدات، والتمثيل الخارجي ،الدفاع ،وغير ذلك من الشؤون الدولية، والخارجية.الفدرالية في العراق تختلف كليا عن هذا النمط فواقع الحال يشير إلى انفصال تدريجي بدليل اتفاقيات النفط والتسليح الخارجي، والأراضي المتنازع عليها وغيرها من الأمور التي عقدتها حكومة الإقليم مع العالم متجاوزة مركزية دولة العراق أو ما يسمى بعدم الرجوع لمركز السلطة الفدرالية من الطريف إن أبناء محافظات العراق من باقي المحافظات لاستطيع إن يمتلك أو يشتري دار في إقليم كردستان حتى المستثمر طقوسه الخاصة والياته المعقدة ماذا يفسر؟

المحور الثالث:- الأسس العلمية والعملية لتأسيس مشروع بناء الدولة المدنية

Axis III: - the scientific basis and practical to establish a project to build a civil state.

أضحى العراق بعد الغزو الأمريكي عام ٢٠٠٣ميلادية دولة لا تمتلك ،أي من مقومات الدولة التي باستطاعتها فرض سلطانها على ترابها الوطني ،وضعف مركز السلطة –النظام السياسي وافتقاره للمهارات القيادية في إدارة شؤون البلاد. الاحتلال أدى إلى انهيار دولة العراق الحديثة وثقافة جديدة روج لها هي الأمركة المبنية على القهر وكم الأفواه ،والتهيؤ لإغراق البلاد في الديمقراطية على الطرائق الأمريكية. بعد ما انتهت صفحة الانقضاض على الوطن بدأت بمبدأ التقسيم وعدم الحرص على وحدة الوطن ،وقتل روح المواطنة بين أبناء المجتمع.

---

1 كاظم حبيب – مرة أخرى حول الواقع العراقي والسياسة الاقتصادية الراهنة في العراق– الحوار المتمدن – العدد: ٣٠٩١ – ٢٠١٠

والسؤال الذي نجدة ضروريا هنا هو ما هي القوى السياسية الفاعلة، والمعتمدة لبناء دولة وطنية تستطيع إن تحقق ما يصبوا إليه كل مواطن في هذا البلد؟ ومن خلال هذا السؤال يمكن القول بان المتغيرات المعتمدة لتحقيق هذا الطموح وفق القوى الحالية لا يمكنها إن تحقق بناء دولة مبنية على النزعات العشائرية، والقبلية، والعرقية، والدينية التي أوصلتها إلى سدة الحكم،وهي غالبا ما تكون إصلاحية أو توافقية لا ترقي إلى واقع متطور مستقر . الساحة السياسية العراقية أصبحت وفق ما سبق وذكر هشة مقترنة بتوزيع القوى ضمن ظروف الاحتلال ،وتداعياته لا تزال مهلهلة التشكيل خاوية منذ انتهاء مرحلة النظام السياسي السابق على يد القوات الأمريكية من الممكن تقصي خارطة طريق العملية السياسية بأولويتها ضمن قواعد اللعبة السياسية المؤسس لها،و المسيطر عليها عبر قنوات الاحتلال الماسك لمقاليد، ومقدرات العراق١. إن ابرز المشاكل المزمنة التي حالت دون البدء ببناء دولة العراق المدنية تتمحور حول فساد النظم السياسية مع الاستئثار بالسلطة ثم الاستحواذ على مفاصل الحياة الاجتماعية،والاقتصادية من قبل فئة معينة قد أضاف الاحتلال مشكلة جديدة ربما كانت كامنة إلا ،وهي فئة الطائفية المقيتة التي عفا عليها الزمن أصبحت ورقة غير رابحة ،ولا مقبولة إلا من قبل ضعاف النفوس، والوصوليون من جهلة السياسة(*) المنتفعين من استمرار الاحتلال.عوده للسؤال الذي طرح حول إمكانية بناء الدولة المدنية الحديثة المقصود بمصطلح الدولة المدنية الحديثة هو نقيض لمفهوم الدولة المستبدة الشمولية التي تكون بكل الأحوال دولة تحكم بقوة السلاح ،الأمن،الجيش حتى إن مؤسساتها ،وأجهزتها المدنية على الأرجح قمعية قاهرة للشعب، وللمعارضة السياسية، ويعد العراق من اكثر الدول في العالم ممارستا للحكم الشمولي، وقد تعرض شعبه إلى أنواع مختلفة من الظلم،الاضطهاد ،السجن ،التعذيب،القتل الفردي ،الجماعي. ومما سبق نعتقد بان الأسس التي يجب الانتباه لها في بناء الدولة المدنية هي:

(أولا)- إزالة الفواصل أو الفجوات بين المجتمع، والدولة إي تكون هنالك عملية تكامل تلاحمي بين المجتمع المدني ،والدولة بعبارة أدق يكون المجتمع المدني مترابطا مع الدولة. من الواضح استحالة

حسن حسين كاظم -العراق ومعوقات التحول الديمقراطي-مجلة الأستاذ-عدد-٨٢-٢٠٠٩م-ص٣٢١

اشتقت كلمة سياسية من اليونانية من كلمة بولس و تعني الدولة المدنية و يقصد فيها "القلعة في قلب المدينة" و ترمز للمدينة التي الضواحي الذين يشاركون في تلك المدينة و أعمالها ، و السياسة هي جزء من محاولة الإنسان المستمرة لفهم نفسه ومحيطه ، علاقاته مع الآخرين الذين يتعامل معهم . و السياسية هي دراسة الدولة و مؤسساتها و أجهزتها و المهام التي تقوم فيها هذه المؤسسات و الأجهزة و الغايات التي أنشئت من اجلها ، و السياسة هي البحث عن العدالة و هي مفهوم القوة و النفوذ و السلطة .. في نشاط الدولة). تعار يف ومصطلحات سياسية هامة،الأكاديمية العربية في الدنمارك-قسم الدراسات والبحوث.

بناء مجتمع مدني بمعزل عن الدولة ،أومن خلالها، فلا مضمون للمجتمع المدني بدون حضور الدولة غيابها إنما يعني غيابه وتلاشيه ما ينطبق على المجتمع ينسحب على الدولة ،فلا دولة بدون مجتمع تستمد منه سلطانها١. لابد إن تبنى العلاقة على أسس جدلية متكافئة في كل الأطر ،والمطب الذي وقعت فيه النظم السياسية السابقة في العراق هو عدم التأكيد على بناء المواطنة،والحرية الفردية، ومشاركة المجتمع في رسم سياسة الدولة إنما قامت على فرض رؤى ،وقيم ذات أيدلوجيات تتعارض مع المبادئ المجتمعية الخاصة،و العامة مما أدى إلى تناقضات اجتماعية متشنجة داخل مجتمع العراق ذات صفة شبه دائمة مزقت لحمته الوطنية. إذا ما أردنا إن نؤسس لدولة حديثة في العراق علينا إن نبدأ برفض الممارسات والمفاهيم الخاطئة التي أثقلتنا فيها أنظمة الحكم السابقة، والتي غيبت أهم الأسس المعتمدة في بناء الدولة ،وترسيخ مفهوم المجتمع المدني وحقوق الإنسان ومبادئ الديمقراطية التي تتحقق من خلال انتخابات ديمقراطية يكون المجتمع فيها حكم الفصل و المصدر الشرعي لكل السلطات ،ومن الضروري اعتماد مبدأ الفصل بين السلطات التنفيذية،والتشريعية ،والقضائية٢، حتى لا يستحوذ شخص آو فئة على مجمل النظام وتنعدم الرقابة من قبل السلطات الأخرى. الدولة كيان يتكون من مجموعة من الأجهزة الإدارية أو الوزارات تمارس وظائف ذات طابع مدني أو سياسي أوكلت مهامها السلطة التشريعية بسن القوانين، وتعمل السلطة التنفيذية على تطبيقها حسب اللوائح القانونية بينما تعمل السلطة القضائية تطبيقاتها وتحافظ عليها من الخرق والتجاوز ومحاسبة المتمردين،والخارجين على القانون السلطة التشريعية تقترح وتشرع القوانين حسب ما يحتاجه المجتمع نظريا لإتاحة فرص تمتع المواطنين بحقوقهم وحرياتهم وفق القانون دون حيف أو تمايز. أما السلطة التنفيذية فهي تهيئ الأرضية المناسبة لنشوء تلك الفرص، وان السلطة القضائية هي الحصن المانع لحماية الحريات والحقوق والرقيب عليها ، ومن مهام ومسؤوليات السلطة التنفيذية توفير الأمن الداخلي للبلاد من خلال وزارة الداخلية المسؤولة وممارسة الوظائف الدبلوماسية الخارجية مع العالم٣ لأنه من المعروف إن للدولة مهام متمثلة بالدفاع عن كيانها واستقلالها وحماية سيادتها و.تحقيق الأمن والاستقرار لمواطنيها.

(ثانيا) :- إشاعة ثقافة الحوار البناء بعيدا عن المهاترات الطائفية أو المذهبية أو القومية على حساب الولاء للوطن، والمواطنة التي تشكل خطورة كبيرة يحمل أوزارها المواطن البسيط. من الضروري

---

1 سعد سلوم- بناء الدولة المدنية في العراق - صورة عن الواقع والتحديات -الحوار المتمدن-العدد-٢١١٨-١١-٢-

2 ميعاد الطائي- كيف يمكن بناء الدولة الحديثة- صحيفة المدى-العدد ١٩٦١-١١-١١-٢٠١٠م.

3 يعقوب يوسف جبر الرفاعي-بناء الدولة الصالحة -إخبار الديمقراطية- واشنطن-منشورات معهد الإمام الشيرازي-

٢٠١٠م.

المجتمع في حياة سياسية جديدة متمثلة بحرية الرأي والتعبير والنشر وحرية المعتقد ،وممارسة الطقوس الدينية بلا مساس لطرف أو أطراف أخرى ضمن المتعارف،وممارسة التعددية الحزبية وحرية الصحافة وحق إعلام حر ونزيه يأخذ دوره في تبني المفاهيم الجديدة والعمل على إيصالها إلى المجتمع لكونه أهم وسيلة لنقل المعلومة من المجتمع للسلطة والعكس صحيح ،والتي تجعل المواطن يتفاعل مع الحدث ويتعايش معه، والاجتهاد في التداول السلمي للسلطة وفق المفاهيم الديمقراطية التي لا تتجاوز القيم المجتمعية، وتراعي الثوابت الاجتماعية المشتركة بين أبناء العراق. بهذا يمكن القول بأن الدولة المدنية هي التي تقوم على أسس النظام الديمقراطي ذي الأصول النابعة من الواقع المجتمعي للعراق ، المعتمدة التعددية والتداول السلمي للسلطة وغيرها، فتصبح الدولة المدنية ذات طابع ديمقراطي مصدر قوتها المجتمع في مقابل شمولية الاستبداد صاحبة الاستناد العسكري ألتسلطي، وهذا معنى مقبول يجسد مبدأ المواطنة ، وتصبح الدولة المدنية بهذا المعنى، ليست معيارًا تُقاس عليه مدنيتها ، بل هي جوهر المشروع الحضاري لبناء الدولة والمجتمع معا، وفي اكتساب الحقوق على أساس المواطنة، وعدم التمييز لفكرت المذهب،الطائفة،الثقافة،العرق في كفالة حقوق الإنسان ،والحريات الأساسية، واحترام التعددية الحزبية ،والتنوع. (ثالثا):- تأهيل إفراد المجتمع ليكونوا منتجين فاعلين في العملية الإنتاجية في إطار التنمية الشاملة حيث يشكلون عبا اقتصاديا مستهلكا يثقل كاهل اقتصاده الوطني،وان لا تكون التنمية أحادية الجانب كأن تعتمد مرفق اقتصادي واحد وإهمال باقي القطاعات مما يسبب تداعيات اقتصادية تنعكس على الدخل القومي تكون ذات مردودات سلبية.

أثر على الناتج القومي ثم تنعكس مباشرة على دخل الإفراد[١] قد تفضي إلى ارتفاع الأسعار التي يتحمل عبئها إفراد المجتمع.إن الاقتصاد ذي التنمية الأحادية الجانب غير المتوازن عرضة للتقلبات الاقتصادية السريعة يتأثر بحالاتي التضخم ،و الانكماش أكثر من غيره،والتي يخشاها منظري الاقتصاد حيث تعد من اسبب المشاكل تسارعا لانهيار النظم الاقتصادية في العالم مما ينتج عنهما تردي الحالة ألمعيشي لإفراد المجتمع الذي بدوره ينعكس على المستوى الصحي،الثقافي بالسلب حيث تعم ظاهرة الفقر المنعكسة على أداء الإفراد،و هذا التدني يتناقض مع قيم، وثقافة الدولة المدنية الحديثة التي يطمح إليها الجميع إن الفوضى التي يعاني منها اقتصاد العراق الحالي هي ليست وليدة سقوط النظام السابق فقط بل هي نتاج سياسات اقتصادية خاطئة قامت عليها وسلكتها، ومارستها النظم السابقة منذ الستينات من

---

[١] عارف- مفهوم التنمية- المركز الوطني للتوثيق، قاعدة المعطيات حول التنمية الاقتصادية والاجتماعية-المغرب-٢٦-٩-

القرن الماضي، والفوضى الاقتصادية نتاج أكثر من نصف قرن مر على الاقتصاد العراقي١. إن التنمية الاقتصادية عملية تغيير سياسي، وإداري هادف شامل لكل جوانب الحياة في إي مجتمع للانتقال لوضع أفضل مع الاخذ بالحسبان الأبعاد الاجتماعية، والبيئية إضافة لنمو السكان خلال مدة من الزمن.

(رابعا):- ثقافة مشتركة تجب ما قبلها من ضغائن وأحقاد خلقتها سياسة التسلط الاستعماري الخارجي العثماني_ الغربي ،والداخلي المتمثل بأنظمة الحكم الشمولي المتعاقبة على حكم العراق منذ تأسيس دولته الحديثة عام١٩٢١ميلادية ولحد الاحتلال الأمريكي ٢٠٠٣م وما بعده. يتبنى المشروع الوطني الثقافي برامج علميه لعملية التنشئة الاجتماعية وبإشراف أعلى المستويات في ألدوله لصياغة المناهج التربوية، والتعليمية بطرائق علميه تتجاوز تلك المناهج الوضعية المراد منها خلق ثقافات عنصرية مذهبية عرقية حتى الولاءات للمناطق، أو الرقع الجغرافية ، وان تكون بذور الثقافة الوطنية في شخصية النشئ الجديد لتغيير الواقع المتردي الذي عانته أجيالنا السابقة من تغييب مفتعل لكل أنواع المناهج وطرائق التربية المجتمعية العصرية ألحديثه. إن الظاهرة الطائفية في العراق ليست مشكلة إيديولوجية وإنما هي مشكلة سياسية في الأصل، وترعرعت في رحم الصراع بين الطبقة الحاكمة و مواليهم من أبناء المجتمع ، وقد تم تغطية وجه الصراع الحقيقي بين المصالح بغطاء من النصوص والطقوس التي ابتدعته النظم السياسية السالفة٢.

إن أزمة النظم السياسية الحاكمة في العراق هي أزمة هيمنة فئة اجتماعية معينة بعوامل عده خارجية وأخرى داخلية موضوعية، وذاتية ذات تداخل ارتباطي مؤثر كلا منها بالآخر في علاقة نشأة ضمن بنية اجتماعية اقتصادية استمرت لفترات زمنية أوجدت مثل هذه الأزمات مستديمة إعاقة كل جهد لبناء دولة المؤسسات الديمقراطية الحديثة، دولة المواطن الحر وليس دولة الطائفة والزعيم والعشيرة ، بل دولة مدنية عصرية متجاوزه لسلبيات الماضي.

في نهاية البحث أرجو أن يسامحني ذوي العقول النيرة على ما فأتني،إن اذكر معلومة أو اشر إلى حدث،أو ظواهر هامة ،ربما تجاوزت في الإطناب عن الموضوع أحيانا أو أخفقت التأويل في اشتقاق المفهوم أو المصطلح أو زلل في الاستنتاج أو عدم دقة في الاقتباس، فلا نظن أن هناك عمل يولد كاملا إنما الكمال لله سبحانه وتعالى وهو ا لمستعان.

---

1 د.أحمد باهض تقي،الاقتصاد العراقي: مشاكل وحلول- شبكة النبأ المعلوماتية- حوار، إزهار الحسيني، لبنى الربيعي-٤-٥-٢٠١٠م.

2 حميد لفته- الظاهرة الطائفية وإشكالية بناء الدولة المدنية – مركز النور للإعلام-٤-٥-٢٠١٠م.

الخاتمة :- Conclusion

ينبغي للباحث على الأقل أن يتمتلك من الشجاعة والوعي وحسن النية وما يتاح له من إن يناقش بتأني وروية المسؤولية التاريخية التي تقع على كاهله كونه عاملا في قطاع الثقافة وينهل من تاريخ العراق الفكري والجمالي والحضاري الذي لم يقوم على أكتاف قومية أو طائفة معينة بل هو نتاج كل أهل العراق هذه الثروة الفكرية والحضارية تخص العراقيين فقط وهي مشتركة بينهم جميعا.ومسؤولية الباحث تحتم عليه المصداقية والحيادية في طرحه للمواضيع ،ومن الواجب عليه إن يسعى لخدمة بلده ومجتمعه دون التحيز الفئوي أو العرقي لطائفة أو قومية معينة .ومن خلال بحثنا المتواضع ظهرت بعض النتائج المهمة أو التي نراها ضرورية لأنها قد تفسح المجال إمام المهتمين في هذا المجال للانطلاق والتوسع في المواضيع ذات الصلة مستقبلا.

نتائج البحث: -

أولا:- الاستعمار يسعى دائما إلى تغير الواقع الاجتماعي الذي يسيطر عليه نحو الاسوء واصفا إياه بأبشع الصور ومحاولة نعته بصفات لم تكن فيه ،فالاستعمار الانكليزي مثلا قد أسس أول وزارة للدعاية في بريطانيا، سميت وزارة الإعلام، خلال الحرب العالمية الأولى وكانت مهمتها، كما أعلن وقتها بصراحة، السيطرة على عقل العالم وقد هيئة الرأي العام الغربي،وصورة له إن أهل العراق لهم طبيعة فوضوية،ومشاغبة معروفة لدى الأوربيين،وعدم رغبة العراقيين في الغرب عموما وبريطانيا خصوصا ،ومجتمع العراق لا يحبذ إي شكل من إشكال التعاون ولا يرغبون في إقامة أي حكم أو حكومة لتنظيم أموره.

ثانيا:- حققت ثورة ١٤تموز ١٩٥٨الاستقلال السياسي للعراق، وحافظت على كيانه وسيادته الوطنية الكاملة وإلغاء جميع المعاهدات الاستعمارية الجائرة والمخلة بالسيادة الوطنية ولأول مرة في تاريخ العراق تم التأكيد على الوحدة الوطنية وحقوق القوميات والمشاركة الفعلية في إدارة الدولة والتي كفلها الدستور المؤقت ضمن المادة الثالثة في٢٧-٧-١٩٥٨م.

ثالثا:- إن وراء فشل تشكيل أو إقامة مشروع وطني لبناء الدولة العصرية التي يطمح لها جميع أبناء مجتمع العراق هو الطوق الإقليمي والتأمر العربي الذي ما انفك يحاول تأليب الأحزاب الموالية له والتدخل السلبي المستمر في شؤون العراق،والعزف على أوتار الطائفية المقيتة،وهذا الطوق لازال مستمرا لحد ألان ولم يعرف المبرر لذلك.

رابعا:- دولة العراق ونظمها السياسية المتعاقبة كانت تقيم الدولة على مدى قوتها العسكرية بغض النظر عن تحضرها وتمدنها وهي فاقده لتنظيم العلاقة بين المجتمع والدولة،أكدت على بناء

هيكلية الدولة وأدامت مؤسستها العسكرية أكثر من التركيز على بناء المجتمع،وحظيت فئات محددة من المجتمع بالامتيازات فيما تحولت غالبية المجتمع إلى مجرد تابع أو مواطن مسير خانع .

خامسا:- كانت سياسة الحكومات العراقية المتعاقبة ذات نظم شمولية ترتكز على زيادة عدد أعضائها في أجهزة الدولة لضمان تأييدهم في ذات الوقت أداة قمعية لإرعاب المجتمع أدت إلى تضخم جهاز الدولة بشكل مريع انعكست أثاره على اقتصاد العراق.

سادسا:- لم تكن في العراق تنمية حقيقية، وجادة لبناء مجتمع اقتصادي نموذجي وتأهيل أفراده ليكونوا منتجين وليس عاطلين بالوراثة.

سابعا:- لا توجد نوايا حسنة لدى الأنظمة السياسية الشمولية السابقة لخلق ثقافة لعراق موحد تكون المواطنة عنوان رفعته وسبب بقائه وروح دولته المرتقبة وضمير تأريخه المديد.

ثامنا:- الدولة المدنية من اولويات مهامها إتاحة الحقوق والحريات العامة والخاصة لجميع المواطنين مقابل إنجاز وظائفهم المكلفين فيها اتجاه بعضهم البعض ضمن نظام الدولة العام دون التمييز بين أبناء المجتمع.

تاسعا:- إن مشروع بناء الدولة يعتمد الطابع المؤسساتي ضمن قناعات قوى المجتمع المدني ،و الحفاظ على المجتمع من التشرذم والانقسام، وفق الهوية الوطنية،و من التصدع لذا يصبح حضور الدولة ضرورة فاعلة لتكامل المجتمع المدني الذي هو الأساس في بناء دولة مدنية ديمقراطية نابعة من ضمير مجتمع العراق بكل خصوصياته تكون في ظل مناخ ديمقراطي حر،و مؤسسة إدارية سياسية مدنية ليست سلطوية ذات صبغة عسكرية يديرها القادة العسكر كما هو حال اغلب بلدان العالم الثالث.